
إسرائيل بعد سبعة عقود على قيامها.. تهديدات دائمة غير قابلة للحل.. نظرية أمنية غامضة
Israel after seven decades. insoluble threats. ambiguous national security theory

أ. أحمد عيسى

Ahmad Issa

المدير السابق لمعهد أبحاث الأمن القومي، رام الله، فلسطين

تاريخ الإستلام: 2021/10/11 تاريخ القبول: 2022/01/19 تاريخ النشر: 2022/03/15

الملخص:

بعد وقت قصير من الإعلان عن قيامها العام 1948، طور رئيس الوزراء الأول للدولة دافيد بن غوريون ما بات يعرف بنظرية الأمن القومي الإسرائيلي.

وتكشف الفرضيات والركائز التي قامت عليها هذه النظرية أن التهديدات التي تواجهها الدولة الناشئة لثورها هي تهديدات خارجية من حيث المصدر، وعسكرية من حيث طبيعتها.

وفيما نجح إلزام إسرائيل بالبعد الإجرائي للنظرية في خدمة الأمن القومي للدولة، إلا أنه مع بدء الألفية الجديدة بات واضحاً أن التهديدات التي تواجه الدولة قد اختلفت من حيث مصدرها وطبيعتها، إذ لم يعد الخارج لوحده هو مصدر التهديد، حيث أصبح الداخل الإسرائيلي أحد مصادر التهديد، لا سيما في ما يتعلق بالمناعة القومية للمجتمع، كما لم تعد التهديدات ذات طبيعة عسكرية فقط، فهناك تهديدات وجودية ذات طبيعة ديموغرافية وإجتماعية وسياسية وثقافية، الأمر الذي يستدعي تطوير نظرية الأمن التي طورها بن غوريون.

ويكشف عدم تطوير نظرية أمنية جديدة، أن إسرائيل تواجه مأزق وجودي لا يبدو أنه قابل للحل، الأمر الذي يضع إسرائيل أمام خيارين إثنيين، فإما الاعتراف بالفشل والتصالح مع سكان البلاد الأصليين، وإما مواصلة التطهير العرقي ضد الفلسطينيين.

Abstract

The first Prime minister of the state of Israel, David Bin-Gurion, developed what became known as the Israeli National Security Theory, shortly after its establishment in 1948.

The assumptions and pillars on which the theory is based, reveal that the threats faced by the newly emerging state are external threats in terms of their source and military in nature.

*ايميل الباحث الرئيسي: ah.issa.63@gmail.com

While Israel's commitment to the procedural dimension of the theory succeeded in terms of serving the state's national security. However, with the onset of the new millennium, it became clear that the threats facing the state differed in terms of their source and nature, the outside is no longer the only source of threat, but, the Israeli interior has become one of the sources of threat, particularly, with regard to the national immunity of society. The threats are no longer military in nature, but, there are also existential threats of a demographic, social, political and cultural. This in turn, calls for the work on developing the security theory developed by Ben-Gurion.

The failure of developing a new security theory thus far reveals that Israel is facing an existential predicament that does not appear to be solvable. This in turn, puts Israel in front of two options, either to admit failure and reconcile with the country's original inhabitants, or to continue the ethnic cleansing against the Palestinians.

مقدمة

يهيمن على ساحة الجدل الفكري في إسرائيل منذ أكثر من ثلاثة عقود تقريباً، لاسيما الجدل الذي يتعلق بأمن إسرائيل، نقاشات وسجلات جادة، يحاول المتصددين لها توفير إجابات مقنعة لتساؤلات غالبية المجتمع الإسرائيلي العلنية، حول مدى قدرة نظرية الأمن القومي التي وضع أسسها في خمسينات القرن الماضي رئيس الوزراء الأول دافيد بن غوريون، على مواجهة التحديات والتهديدات الجديدة التي بدأت تطفو على السطح في البيئة الإستراتيجية الإسرائيلية منذ نهاية القرن الماضي وبداية الألفية الجديدة.

وينقسم المتصدون للإجابة على هذه التساؤلات إلى فريقين إثنين، يرى الأول أن السجال حول التهديدات الجديدة التي تهدد إسرائيل هو شكل من أشكال الترف الفكري، إذ لا حاجة لقلق الإسرائيليين على مستقبل وجود الدولة التي أثبتت نتائج الحروب التي خاضتها على مدى العقود السبعة الماضية أنها تمتلك قوة عسكرية يصعب هزيمتها أو إحداث التوازن معها، ويضيف هذا الفريق أن هذه القوة قد تضايف أثرها ودرجة ردعها للعدو بعد توقيع إسرائيل إتفاقيات السلام في الربع الأخير من القرن الماضي مع مصر والأردن، وقد زادت هذه القوة بعد تطبيع علاقاتها مؤخراً مع أربع دول عربية، حيث أزلت هذه الإتفاقيات وفقاً لرأي هذا الفريق التهديد الوجودي لإسرائيل الذي كانت الدول العربية وجيوشها النظامية مصدره الأساسي.

بالمقابل يرى الفريق الثاني أنه على الرغم من تلاشي وغياب التهديد الوجودي التقليدي لإسرائيل على اثر توقيع الإتفاقيات مع مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، إلا أن الإتفاق مع

الفلسطينيين لا زال عالقاً، كما أن ضعف دور الدولة في المنطقة وتنامي دور المنظمات غير الدولية، ثم بروز أعداء جدد لإسرائيل في المنطقة قد أنتج تهديدات جديدة لا تقل خطورة على مستقبل وجود الدولة عن تلك التهديدات التي سادت في القرن الماضي، الأمر الذي يفرض على الدولة وقيادتها السياسية العسكرية والإستخبارية عدم مواصلة الإفتتان بالقوة، والإعتراف بوجود هذه التهديدات وعدم إنكارها، ثم عمل ما يلزم إستعداداً لمواجهتها سياسياً وعسكرياً.

من جهتها تجادل هذه الورقة أن إسرائيل لم تعد قادرة، ولن تكون قادرة في المدى المنظور على توفير إجابات مطمئنة تخفف من قلق مواطنيها على مستقبل الوجود، الأمر الذي يتجلى في عدم التوافق حتى اللحظة على نظرية أمنية تتلائم مع تحولات البيئة الإستراتيجية الإسرائيلية.

ولفحص مدى صحة هذه الجدلية ستسعى هذه الورقة إلى تسليط الضوء على نظرية بن غوريون للأمن الإسرائيلي من حيث الركائز التي تقوم عليها، والفرضيات التي إنطلقت منها، والمقاربات النظرية التي وظفتها، والبواعث الفكرية المهمة لروادها الأوائل، ثم ستدرس التهديدات والتحديات التي واجهت الدولة في حينه وتلك التي تواجه الدولة الآن، إستناداً للمساهمات البحثية لبعض خبراء الأمن القومي الإسرائيلي، لا سيما من الإسرائيليين، الأمر الذي سيمكننا من الإجابة على سؤال الورقة الرئيس: لماذا لم تطور إسرائيل علناً أو سراً بعد مساهمة بن غوريون، نظرية واضحة ومتكاملة للأمن القومي أسوة بباقي الدول الديمقراطية التي يفرض عليها الدستور وقيم الديمقراطية نشر ومراجعة إستراتيجياتها للأمن القومي دورياً، لا سيما وأن إسرائيل تدعي أنها إمتداد لهذه الديمقراطيات، بل أنها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، والأهم من ذلك أنها تدعي أنها لم تعد تواجه تهديدات وجودية؟

وفي سعيها هذا ستطبق هذه الورقة نموذج تحليلي يقوم على عدة مناهج كالمناهج التاريخية والمنهج المقارن والمنهج التحليلي، أما من حيث الشكل فسيجري تقسيم هذه الورقة إلى عدة أقسام يتناول كل قسم موضوع من المواضيع ذات العلاقة بموضوع الدراسة، حيث ستبدأ أولاً: بإلقاء الضوء على نظرية الأمن الإسرائيلية من حيث الفرضيات، والمقاربات النظرية، والركائز، والمنطلقات الفكرية، وثانياً: ستتناول التأصيل المفاهيمي للتهديد في إسرائيل، وثالثاً: ستحاول الورقة دراسة التهديدات التي واجهت وتواجه إسرائيل في مرحلتي، ما قبل الإعلان عن قيام الدولة العام 1948، وما بعد الإعلان عن قيام الدولة، وستقسم هذه الأخيرة إلى أربع مراحل، المرحلة الأولى تغطي الفترة 1948-1967، والثانية 1967-1973، والثالثة 1973-2000، والرابعة تبدأ من العام 2000- حتى تاريخ كتابة هذه الدراسة، وفي النهاية ستكون الخاتمة التي لن تشتمل على توصيات، إذ ستترك هذا الأمر للقارئ.

نظرية الأمن الإسرائيلية: الفرضيات .. المقاربات .. الركائز .. المنطلقات الفكرية

يُنسب لرئيس الوزراء الأول لدولة إسرائيل دافيد بن غوريون ومعه مجموعة ضيقة من كبار ضباط هيئة الأركان في حينه مثل ايجال ألون، أنه الشخص الذي تفرغ مباشرة بعد الإعلان عن قيام الدولة

العام 1948، لصياغة ما بات يعرف في الأوساط الأكاديمية داخل إسرائيل وخارجها بنظرية الأمن الإسرائيلية¹.

وقد إستند بن غوريون في صياغته هذه إلى فرضية مفادها أن أمن إسرائيل القومي هو أمن "الأقلية مقابل الأكثرية"²، وأن التهديدات الوجودية للدولة الناشئة لتوها هي تهديدات عسكرية بالأساس، وأن مصدرها خارجي، لا سيما من الجيوش النظامية للدول العربية المجاورة التي أعلنت في حينه أنها في حالة حرب وعداء مع إسرائيل، الأمر الذي يجعل من الجيش الإسرائيلي والمؤسسة الأمنية هما الجهات المناط بهما مسؤولية حفظ أمن الدولة وحماية وجودها³.

وفيما يبدو واضحاً أن بن غوريون ورفاقه قد وظفوا في مقاربتهم للأمن الإسرائيلي مقاربات المدرسة الواقعية التي هيمنت في حينه على الحقل الأكاديمي في تفسير العلاقات الدولية والمسألة الأمنية، خاصة بعد فشل المدرسة المثالية التي هيمنت على الحقل الأكاديمي في مرحلة ما قبل إندلاع الحرب العالمية الثانية بالتنبؤ بوقوع الحرب، حيث تنظر المدرسة الواقعية للدولة كوحدة التحليل الأساسية في تفسير العلاقات الدولية، وأنها أي الدولة هي محور أي سياسة أمنية وهي المكلفة دائماً بحماية حدودها من الأعتداءات الخارجية وذلك من خلال القوة العسكرية التي توظف الدولة معظم مواردها لمراكمة وتطوير مكنوناتها⁴.

إلا أن القراءة المتأنية لمقاربة بن غوريون تبين أنه ورفاقه قد إعتدوا المعنى الإجرائي للأمن القومي، الذي يقدم الأمن القومي على أنه يقوم على "مدى إدراك الدول لبيئتها الأمنية داخلياً وخارجياً، وانعكاس ذلك على صياغة منظومتها الأمنية بشكل توافقي أو تعارض، إستناداً إلى مقوماتها وإمكاناتها الداخلية، وذلك ارتباطاً بتموقعها في النظام العالمي"⁵.

وكان إيجال ألون أبرز شركاء بن غوريون في صياغة النظرية الأمنية للدولة قد أكد على هذا المعنى في كتاباته بقوله: "الأمن يتعدى الدفاع عن شعب ضد جميع أنواع الأعمال العدائية من الخارج، كونه

¹ فادي نحاس، دليل إسرائيل العام 2020: (المؤسسة الأمنية والعسكرية)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 2021، ط1، ص 656. أنظر أيضاً: محمود سويد، تطور العقيدة العسكرية الإسرائيلية خلال 35 عاماً: ترجمات مختارة من مصادر عبرية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، شركة الخدمات النشرية المستقلة/المحدودة، نيفوسيا، قبرص، ط1، 1983. أنظر أيضاً: أليكس مينتس، شاؤول شاي، العقيدة الأمنية الإسرائيلية وحروب إسرائيل في العقد الأخير: (ضرورة إعادة صوغ عقيدة إسرائيل الأمنية)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 2015، ص 29-41.

² Israel Tal, **National Security: The Few Against the Many**, Diver Publishing House, Tel Aviv, Israel, 1996.

³ تقرير معهد رينوت للتخطيط الإستراتيجي، ترجمة: سعيد عياش، تحدي نزع الشرعية: تهديد مصري لإسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام، رام الله، فلسطين، 2010، ص 24-28.

⁴ قسوم سليم، الإتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية: دراسة في تطور مفهوم الأمن عبر منظمات العلاقات الدولية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات، 2018، ص 65.

لمزيد من الإطلاع أنظر أيضاً: هانس مورجانتو، السياسة بين الأمم، ط1، 1948. أنظر أيضاً: أحمد وهبان، النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من مورجانتو إلى ميرشايمر، دراسة تقويمية، جامعة الإسكندرية، 2016، متوفرة على الموقع أدناه الذي تمت زيارته بتاريخ 2021/8/1

https://esalexu.journals.ekb.eg/article_109452_8cfe963e9b42ef1bec88844eccc950ad.pdf

⁵ خالد جندلي، التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة باتنة، الجزائر، 2008/2997.

محصلة إتصالات الدولة مع بيئتها القريبة والبعيدة، والتي تعكس قوتها وجاهزتها ووسيلتها وقدرتها على التنفيذ من أجل حماية مصالحها الحيوية وتحقيق أهدافها وغاياتها القومية⁶.

وفيما يرفض بعض الدارسين في إسرائيل تناول مساهمة بن غوريون كنظرية أمنية متكاملة، أو كعقيدة للأمن القومي كما درج معظم الدارسين تقريباً على تناولها، وفضلوا بدلاً عن ذلك الإشارة إليها بالنموذج (Paradigm) الأمني⁷، إلا أن الطرفين لم يختلفوا على صحة تبني بن غوريون للمعنى الإجرائي لمفهوم الأمن القومي، أو ما يشير إليه آخرين أحياناً بمعادلة (Equation) الأمن القومي الإسرائيلي⁸.

وقد جاءت الركائز التي قامت عليها مساهمة بن غوريون تأكيداً على إعتماده المقاربة الإجرائية للأمن القومي، إذ جرى تطوير هذه الركائز وفقاً لما أطلق عليه البعض بالقيود، والردود على القيود، وتشمل القيود هنا مساحة الدولة وحدودها، وموقعها الجغرافي، ومحدودية القدرة البشرية، ومحدودية الموارد، والتهديدات التقليدية في مقابل التهديدات غير التقليدية، والإعتبارات الإجتماعية⁹.

وعلى ضوء هذه القيود طور بن غوريون ثلاث ركائز أساسية تقوم عليها نظريته الأمنية هي: الردع، والإنذار المبكر، والحسم السريع، أي ردع العدو عن المبادرة للحرب من خلال زرع قناعة راسخة لديه أن إسرائيل تمتلك قوة عسكرية هائلة للحد الذي يفقد فيها القدرة على تحمل الدمار الذي ستحدثه ضربة إسرائيل الثانية لبلاده، إذا ما بادر بالضربة الأولى لإسرائيل، والإنذار المسبق والمبكر حول أي نوايا هجومية للعدو، والحسم السريع إذا ما قرر (العدو) مهاجمة إسرائيل¹⁰.

أما من حيث المنطلقات الفكرية المحركة لبن غوريون، فتظهر مراجعة الأدبيات الأمنية الإسرائيلية خاصة تلك التي كتبها جنرالات سابقين في الجيش الإسرائيلي أن الأفكار المتضمنة في أطروحات وكتابات (زئيف جابوتنسكي)¹¹، لا سيما نظرية الجدار الحديدي قد مثلت المنطلقات الفكرية لبن غوريون في صياغته للنظرية الأمنية، وتدور هذه الأطروحات حول أن المحاولات العربية لتدمير إسرائيل سوف تتبدد وتنتهي حين يدرك العرب أن إسرائيل هي جدار حديدي لا يمكن إختراقه¹².

⁶ منيب شبيب، نظرية الأمن الإسرائيلية في ظل التسوية السلمية في الشرق الأوسط، مذكرة منشورة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003، ص 49. للمزيد أنظر، إيجال ألون، أمن إسرائيل القومي خلال 35 عام من عمرها، ترجمة سمير جبور، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، شركة الخدمات التشريعية/المستقلة المحدودة، نيقوسيا، قبرص، 1983، ص 1-24.

⁷ Uri Bar Joseph, **Towards a Paradigm Shift in Israel's National Security Conception**, Israel Affairs, 2007, Routledge, England, London. V 6, Issue 3-4, p 99-114.

⁸ منيب شبيب، مصدر سابق، ص 50-51.

⁹ عوض منصور، دليل إسرائيل العام 2011: (المؤسسة الأمنية والعسكرية)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 2011، ص 583-652.

¹⁰ عوض منصور، مصدر سابق.

¹¹ فلاديمير زئيف جابوتنسكي القائد الملهم للجناح التصحيحي في الحركة الصهيونية ويعتبر الأب الروحي لليمين الإسرائيلي الذي يوصف الآن باليمين النيوصهيوني، ونشر مقالته المشهورة (أخلاقيات الجدار الحديدي) لأول مرة العام 1923 باللغة الروسية في مجلة رازيفيت، التي تصدر بشكل دوري عن المنظمة الصهيونية في روسيا، الترجمة العربية للمقالة متوفرة على الموقع الإلكتروني <http://palestine.paldf.net/news>، جرت زيارته بتاريخ 2021/8/2.

¹² Gadi Eisenkot, Gabi Siboni, **Guidelines for Israel's National Security Strategy**, The Washington Institute for Near East Policy, Washington DC, USA, 2019, Page xiv.

التهديد الوجودي: تأصيل مفاهيمي وضبط معرفي

يُعرف معهد إسرائيل لدراسات الأمن القومي (INSS) التهديد الوجودي بأنه التهديد الذي يمكنه بنجاح تدمير قدرة الدولة على مواجهة المخاطر الخارجية والداخلية، ولذلك فهو التهديد الذي يعرض للخطر: وجود الدولة، وسيادتها، وهويتها المتوافق عليها، وعليه يتكون هذا التهديد من ثلاثة مستويات رئيسية، المستوى الأول مادي، وفي الحالة الإسرائيلية يعني إيذاء الدولة للدرجة التي تمنعها من التعافي مجدداً والعودة لممارسة وظائفها الطبيعية، أما المستوى الثاني فيتعلق بالسيادة، إذ تفقد الدولة في هذا المستوى سيطرتها على مؤسساتها وسكانها ومواردها، ويتعلق المستوى الثالث بهوية الدولة، حيث تفقد إسرائيل في ظل هذا التهديد شخصيتها كدولة يهودية وديمقراطية، أي أنها تفقد صفتها بأنها الدولة-الأمة (Nation state) للشعب اليهودي¹³.

تجدر الإشارة هنا أن الدول تختلف عن بعضها البعض في تحديد وتعريف التهديدات التي تواجهها، مما يجعلها ليست على درجة واحدة من الإهتمام بنظيرتها الأمنية أو عقيدة أمنها القومي، فالدول التي تنعم بوجود هادئ ولا تتعرض لتهديدات داخلية وخارجية مثل النرويج والدنمارك، لا تركز الجزء الأكبر من جهودها ووقتها وتفكيرها ومواردها لتطوير نظيرتها الأمنية، أما الدول المسكونة بالتهديدات الداخلية وتحيط بها تهديدات خارجية كالهند وباكستان فدرجة إهتمامها بعقيدتها الأمنية مختلفة عن النوع الأول من الدول، إذ تستحوذ الإحتياجات الأمنية على النصيب الأكبر من الموارد البشرية والمادية للنوع الثاني من الدول¹⁴.

ومن ناحيتها إسرائيل تختلف عن نموذجي الدول المشار اليهما في الفقرة السابقة فهي أولاً ليست دولة طبيعية كباقي دول العالم، حيث يدرك مواطنوها وكذلك نخبتها الحاكمة أنها ليست كباقي الدول التي أنشأتها شعوبها على أرضهم وممتلكاتهم، فإسرائيل وفقاً لجابوتنسكي في الجزء الأول من مقالته "الجدار الحديدي" هي مشروع إستعماري، الأمر الذي يمكن الإستدلال عليه من توظيف جابوتنسكي للألفاظ في مقالته، إذ كرر استخدام لفظ إستعمار والمستعمرون اليهود في فلسطين (17) مرة من مجموع كلمات المقال التي بلغت (1871) كلمة، في حين كرر لفظ الشعب الأصلي (10) مرات عند الإشارة للشعب الفلسطيني¹⁵.

ومن جهة أخرى فالشعب الفلسطيني صاحب الأرض الأصلي، لا زال يعيش على أرضه أو جزء منها، كما أنه لم يتوقف عن النضال والمطالبة بأرضه وممتلكاته منذ بداية الهجرة اليهودية لفلسطين في بدايات القرن الماضي، فضلاً عن أنها أي إسرائيل وعلى الرغم من مرور أكثر من سبعة عقود على إعلان قيامها خاضت خلالها أكثر من عشرة حروب طاحنة مع جيوش دول المنطقة، وواجهت كذلك

¹³ Ofir Winter, **Existential Threat Scenarios to the State of Israel**, Israel Institute for National Security Studies, Tel Aviv, Israel, 2020, pp 7.

¹⁴ David Rodman, **Israel's national Security: An Appraisal of the Past and a Vision of the Future**, Israel Affairs, Routledge, England, London, 2010, Vol 9, No 4, pp 115-140.

¹⁵ فلاديمير زنيف جابوتنسكي، مصدر سابق.

إنتفاضتين كبيرتين مع سكان البلاد الأصليين، إلا أنها لم تنجح بالتحول إلى دولة طبيعية، سواء في نظر مواطنيها الذين يضعون كثير من الشك على مستقبل وجودها ويناقشون ذلك علناً في الوسطين الأكاديمي والإعلامي، أو في نظر شعوب المنطقة الذين لا زالوا يعتبرون أنفسهم في حالة عداء معها¹⁶.

وتأسيساً على ذلك تكاد إسرائيل أن تكون الدولة الوحيدة التي تنفرد عن باقي الدول حول العالم من حيث نوع وطبيعة التهديدات والتحديات التي تواجهها، وفي هذا الشأن يجادل البعض أن التهديدات التي تواجهها إسرائيل ذات طبيعة متجددة، فضلاً عن أنها تهديدات بنيوية دائمة لا تنتهي، وغير قابلة للحل في المدى المنظور¹⁷.

إسرائيل: مجتمع يهيمن عليه ثقافة التهديد

جعلت التهديدات المرافقة لمشروع صناعة إسرائيل في المنطقة، سواء في المرحلة التي سبقت الإعلان عن قيام الدولة العام 1948، أو المرحلة التي أعقبت الإعلان، من مصطلحات الأمن والتهديد، لا سيما الثقافة المحيطة بهذه المصطلحات، بمثابة ضوابط ناظمة للحياة اليومية في المجتمع الإسرائيلي وكنتيجة، هي المصطلحات المهيمنة على النقاش العام في الأوساط السياسية والعسكرية والاجتماعية والإقتصادية¹⁸.

التهديدات قبل الإعلان عن قيام الدولة

تنقسم التهديدات التي واجهت التجمع اليهودي أو الكيان الإستعماري الصهيوني (اليديشوف) في فلسطين في المرحلة التي سبقت الإعلان عن قيام الدولة إلى نوعين من التهديدات، النوع الأول سياسي، والثاني عسكري.

وينبع النوع الأول من التهديدات من قلق قيادة الحركة الصهيونية في حينه أن يؤدي رفض ومقاومة اصحاب البلاد الأصليين وكذلك الشعوب العربية والإسلامية التي ترتبط بهم بريطانيا بمصالح متعددة، إلى تراجع الأخيرة عن وعدها بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد صنف هذا النوع من التهديد في حينه بالتهديد الوجودي¹⁹.

أما النوع الثاني فقد نبع من المواجهة العسكرية التي نشبت بين التنظيمات والمجموعات العسكرية التي بادر لتشكيلها أصحاب البلاد الأصليين، وبين المليشيات والمنظمات العسكرية للمستعمرين

¹⁶ Richard Laub, Olivier Boruchowitch, **Israel: Future in Doubt**, Resling Publishing Ltd, Israel, Tel Aviv, 2011, pp 7-10.

¹⁷George Freidman, **Gaza Withdrawal and Israel's permanent Dilemma**, Geopolitical Weekly, Stratfor Global Intelligence, 2014-2005, <https://worldview.stratfor.com/article/gaza-withdrawal-and-israels-permanent-dilemma?q=Gaza%20withdrawal%20and%20Israel%20security%20Dilemma>, visited at 16/8/2021.

¹⁸ Puneet Doval, **Book Reviews: Israeli National Security: A new start for an Era of Change**, Claws Journal, New Delhi, India, 2019, Vol 12, No 1, pp 200-204.

¹⁹ تقرير معهد رينوت للتخطيط الإستراتيجي، مصدر سابق.

اليهود، إلا أن هذه المواجهة لم تصل لدرجة التهديد الوجودي لجوهر التجمع الإستيطاني الصهيوني في فلسطين، وذلك لتدني مستوى تنظيم وتسليح التنظيمات الفلسطينية مقابل جودة مستوى تنظيم وتسليح الميليشيات الصهيونية التي تلقت كل ما يلزمها من دعم عسكري ولوجستي من القوات البريطانية التي كانت مخولة بالانتداب على فلسطين لتهيئتها لإقامة وطن قومي لليهود وفقاً لصك الإنتداب الصادر عن عصبة الأمم العام 1922²⁰.

التهديدات بعد الإعلان عن قيام الدولة

أولاً: 1948-1967

بعد الإعلان عن قيام الدولة العام 1948 على 78% من مساحة فلسطين الإنتدابية على إثر سيطرة الميليشيات الصهيونية المسلحة المدعومة من جيش الإنتداب البريطاني، والإعتراف مباشرة بها من قبل الدول العظمى كالولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي، المهيمنة على المنظمة الدولية (هيئة الأمم المتحدة) التي اصدرت بدورها قرار تقسيم فلسطين رقم (181) العام 1947²¹، زال تقريباً التهديد الوجودي السياسي الذي كان يخشاه بن غوريون وكل أطراف قيادة الحركة الصهيونية في حينه، إلا أن التهديدات ذات الطبيعة العسكرية ظلت ثابتة، بل إزدادت تعقيداً²².

وقد أُستلهمت هذه التهديدات من المواجهات العسكرية التي دارت بين التنظيمات المسلحة الفلسطينية واليهودية الصهيونية في المرحلة التي سبقت قيام الدولة، وكذلك من المواجهة العسكرية التي دارت العام 1948 بين الجيش الإسرائيلي والجيوش العربية التي دخلت إلى فلسطين، الأمر الذي يعني بقاء التهديدات ذات الطبيعة العسكرية، إلا أن جملة من التحولات الجوهرية قد جرت على هذه التهديدات من حيث مصدرها وطبيعتها.

فمن حيث مصدر التهديد فقد إنتقل من الداخل (المجموعات العسكرية للسكان المحليين) للخارج (الجيوش النظامية للدول العربية المجاورة)، كما أن طبيعة التهديدات تحولت من تهديدات عادية لا تؤدي لنشوب حرب إلى تهديدات وجودية تؤدي لإندلاع حرب شاملة²³.

²⁰ أعلنت عصبة الأمم مشروع الإنتداب البريطاني على فلسطين بتاريخ 6 يوليو/تموز العام 1921، وصدق عليه بتاريخ 24 يوليو/تموز العام 1922، ووضع موضع التنفيذ بتاريخ 29 سبتمبر/أيلول من العام نفسه، لغايات تهيئة فلسطين لإقامة وطن قومي لليهود، لذلك حرص محررو الصك على أن يتضمن نص الوعد الذي أطلقه وزير الخارجية البريطاني جيمس بلفور العام 1917، والذي يدعو بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

²¹ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 181 بتبني خطة تقسيم فلسطين القاضية بإنهاء الإنتداب البريطاني على فلسطين وتقسيمها إلى ثلاث كيانات جديدة، دولة عربية على ما مساحته 42,3% من مساحة فلسطين الإنتدابية، ودولة يهودية على ما مساحته 57,7%، وتبقى القدس وبيت لحم والمناطق المجاورة لها تحت وصاية دولية، من جانبه رفض الشعب العربي الفلسطيني هذا القرار.

²² معهد رينوت للتخطيط الإستراتيجي، ترجمة: سعيد عياش، مصدر سابق.

²³ Moshe Dayan, *Israel's Border and Security Problems*, Foreign Affairs, Council on Foreign Relations, USA, NY, 1955, Vol 33, No 2, pp 250-267. See also, Yigal Allon, *Israel: The Case for Defensible Borders*, Foreign Affairs, Council on Foreign Relations. USA, NY, 1976, Vol 55, No 1, pp 38-53.

وفي محاولات البعض قراءة واقع إسرائيل الأمني وفقاً للمعنى الإجرائي للأمن القومي، ظهر أن إسرائيل من حيث المكانة والتموضع في النظام الدولي قد أصبحت دولة بعد الاعتراف بها من المنظمة الدولية (الأمم المتحدة) ومن القوى العظمى التي تتنافس على السيطرة على النظام الدولي، الأمر الذي أكسب إسرائيل مزايا الدولة وفقاً للقانون الدولي²⁴.

ومن حيث البيئة الأمنية الداخلية فقد أظهر التحليل أن البيئة الأمنية الإسرائيلية محكومة بجملة من القيود البنوية الثابتة التي تزيد بدورها من درجة خطورة التهديدات كونها دولة صغيرة المساحة جغرافياً، وحدودها لا يمكن الدفاع عنها، وفاقدة للعمق الإستراتيجي، وقليلة العدد ديمغرافياً، ومحدودة الموارد إقتصادياً، علاوة على أن التحول الديمغرافي في فلسطين كما خطت له الحركة الصهيونية لم يكتمل العام 1948، إذ ظلت أقلية فلسطينية داخل حدود الدولة الناشئة لتوها مما حرم إسرائيل من أن تكون دولة يهودية نقية²⁵.

أما من حيث البيئة الأمنية الخارجية فقد أظهرت القراءة أن إسرائيل محاطة بأصحاب البلاد الأصليين الذين تمكنوا في نهاية خمسينات القرن الماضي من إعادة تنظيم أنفسهم وإعلان الإنخراط في حرب تحرير شعبية مسلحة هدفها تدمير إسرائيل²⁶، ومحاطة كذلك بشعوب ودول ذات جيوش نظامية أعلنت أنها في حالة حرب وعداء معها، الأمر الذي يجعل من المستحيل أن تتمكن الدولة من حماية أمنها والمحافظة على وجودها اعتماداً على قدراتها الذاتية فقط²⁷.

ولكي تضمن إسرائيل مواجهة التهديدات المتضمنة في بيئتها الإستراتيجية لحظة الإعلان عن قيامها وتحافظ على الوجود والبقاء، كان لزاماً عليها أن تحقق جملة من الشروط، أولها أن تجعل من وجودها خدمة لقوة عظمى (الولايات المتحدة الأمريكية) لجهة توفير الرعاية السياسية والعسكرية التي تحتاجها إسرائيل من هذه القوة، وثاني هذه الشروط العمل في أسرع وقت ممكن على توفير العمق الإستراتيجي المفقود للدولة، وكذلك توفير الحدود التي يمكن الدفاع عنها، خاصة وأن الحدود التي حددتها إتفاقيات الهدنة لا يمكن لإسرائيل الدفاع عنها، وذلك لطولها وتعرجاتها وطبيعتها الطبوغرافية، وثالث هذه الشروط اعتماد إستراتيجية دبلوماسية تضمن عدم توحيد العرب أبداً في قوة عسكرية واحدة، وكذلك اعتماد إستراتيجية عسكرية تضمن لإسرائيل دائماً تحديد زمان ومكان الحرب ووتيرة نيرانها، وتضمن كذلك عدم تزامن إندلاع إنتفاضة من الأقلية الفلسطينية داخل إسرائيل مع لحظة خوض الجيش الإسرائيلي حرب على الحدود²⁸.

²⁴ Moshe Dayan & Yigal Allon, Ibid.

²⁵ George Friedman, Ibid.

²⁶ شرع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة مباشرة بعد صحوته من آثار نكبة العام 1948، في تشكيل مجموعات عسكرية وشن هجمات ضد أهداف إسرائيلية إنطلاقاً من هذه المناطق، وقد تمكن في أواسط ستينات القرن الماضي من تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية كأول كيان سياسي يعبر عن الفلسطينيين وأهدافهم الوطنية، وقد تبنت منظمة التحرير الفلسطينية وفقاً لأحكام المواد رقم (8،9،10) من الميثاق الوطني الفلسطيني لسنة 1968 هدف تدمير إسرائيل بواسطة الكفاح المسلح والإنخراط في حرب تحرير شعبية. للمزيد أنظر:

²⁷ Moshe Dayan, & Yigal Allon, Ibid.

²⁸ George Freidman, Ibid.

ثانياً: بعد العام 1967

نجحت إسرائيل في إلحاق هزيمة عسكرية كبرى بثلاثة جيوش عربية في حرب العام 1967، إذ احتلت شبه جزيرة سيناء المصرية، وهضبة الجولان السورية، وما تبقى من مساحة فلسطين الإنتدابية، وبذلك زادت مساحتها الجغرافية ثلاثة أضعاف، والأهم أن هذه الإنتصار حقق لها العمق الإستراتيجي المفقود، ووفر لها الحدود الأمنة التي يمكن الدفاع عنها، فجيشها بعد الحرب أصبح يقف جنوباً على ضفاف قناة السويس، وشرقاً على ضفة نهر الأردن، وشمالاً على مرتفعات هضبة الجولان السورية²⁹.

وعلى الرغم من التحولات الإستراتيجية التي أحدثتها نتائج هذه الحرب لصالح أمن إسرائيل، إلا أن هذه التحولات لم تغير في الواقع من طبيعة ومصادر التهديدات الوجودية للدولة، إذ ظل التهديد الوجودي لإسرائيل ذو طبيعة عسكرية، ومصدره الجيوش العربية النظامية للدول المهزومة في الحرب خاصة مصر وسوريا³⁰.

وفي هذا الشأن يجادل ماكبيك (Mcpeak) أن الحرب خلقت تهديدات وتحديات جديدة ذات طبيعة إستراتيجية لإسرائيل يصعب عليها مواجهتها أو التغلب عليها لوحدها، فمن جهة ولغايات تحقيق العمق الإستراتيجي الذي لم يتحقق العام 1948 أجبرت إسرائيل على إحتلال الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة وإخضاع سكان هذه المناطق من الفلسطينيين للحكم العسكري الإسرائيلي، الأمر الذي خلق تهديدات وجودية لإسرائيل من خلال إضافة البعد الديموغرافي للبعد العسكري³¹.

ومن جهة أخرى أكدت نتائج الحرب حاجة إسرائيل الدائمة لرعاية دولة عظمى من أجل حماية أمن حدودها الجديدة والحفاظ على وجودها، لا سيما وأن قدرة إسرائيل سواء من حيث الموارد الطبيعية أم من حيث عدد السكان والقدرة على التجنيد للجيش هي قدرات محدودة³².

ويضيف ماكبيك أن حرب الإستنزاف التي بادر إليها العرب على الجبهات المصرية والسورية والفلسطينية في السنوات التي أعقبت الحرب أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن الحدود الجديدة لم توفر الأمن المطلوب لإسرائيل فعديد القتلى والجرحى من الجيش الإسرائيلي على هذه الجبهات خلال السنوات 1969-1970 خاصة على الجبهة المصرية فاق عديد القتلى والجرحى خلال الحرب، كما أن هذه الحدود لم تمنع الجيشين المصري والسوري من المبادرة لحرب العام 1973، التي نجح خلالها الجيشين المصري والسوري في إثبات أن الجيش الإسرائيلي يمكن هزيمته³³.

ثالثاً: في الفترة 1973-2000

²⁹ Colonel Merill A. Mcpeak, **Israel Borders and Security**, Foreign Affairs, Council on Foreign Relations, USA, NY, 1976, Vol 54, No 3, pp 426 – 443.

³⁰ Colonel Merill A. Mcpeak, *Ibid*.

³¹ Colonel Merill A. Mcpeak, *Ibid*

³² Colonel Merill A. Mcpeak, *Ibid*

³³ Colonel Merill A. Mcpeak, *Ibid*

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي، لا سيما في أعقاب حرب تشرين الثاني/أكتوبر العام 1973، تحولات جوهرية في البيئة الإستراتيجية الإسرائيلية، كان لها أثر بالغ على التهديدات التي تواجه إسرائيل، إذ فيما وفرت هذه التحولات من جهة، فرصة لإزالة التهديدات الوجودية التقليدية التي كان مصدرها الجيش المصري، خاصة بعد توقيع إتفاقية كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل العام 1978، إلا أن عدم مسارعة إسرائيل لتطوير إستراتيجية تضمن من جهة إحتفاظ إسرائيل بتفوق عسكري نوعي، وتعيد من حبة أخرى تعريف الأهداف السياسية-الأمنية بما يُمكن إسرائيل من فرض شروط التسوية السياسية على العرب، يهدد بتحويل الفرصة إلى تحدي³⁴.

كما ساهمت تحولات البيئة الإستراتيجية الإسرائيلية في تقليص التحدي الذي كان مصدره دعم الإتحاد السوفيتي المادي والمعنوي لمنظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية المعادية لإسرائيل، لا سيما بعد إنبهار الإتحاد السوفيتي العام 1991 ونشأة نظام القطب الواحد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية³⁵.

ومن جهة أخرى ساهمت هذه التحولات في بروز وتطور مستويات جديدة من التهديدات (الوجودية والعادية، العسكرية وغير العسكرية، الداخلية والخارجية) لإسرائيل، وفي شأن التهديدات الوجودية التقليدية القديمة فقد ظلت متمثلة بالجيشين، العراقي والسوري، أما التهديدات الوجودية الجديدة فقد برزت مع نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية العام 1979 وتحول إيران من نظام حليف لإسرائيل في عهد الشاه بهلوي لجمهورية إسلامية معادية لإسرائيل تنادي علناً بزوالها من المنطقة³⁶.

وفي شأن التهديد الإيراني ترى قيادة المؤسسة العسكرية في إسرائيل أن التهديد ينطوي على درجة عالية من الخطورة لإسرائيل، ويعود ذلك لتبني إيران علناً هدف تدمير إسرائيل، ثم لتقدمها الدعم المالي والعسكري والإستخباري للتنظيمات والحركات المسلحة غير الدولانية، كحزب الله اللبناني، وحركتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيين وغيرهم من الحركات المعادية لإسرائيل في المنطقة، مما جعل من هذه التنظيمات جيوشاً وليس مجرد ميليشيات مسلحة، علاوة على إحرازها أي إيران تقدم ملموس في برنامجها النووي العسكري والصاروخي، وكذلك إحرازها تقدم بارز في مجالات السايبر والفضاء، الأمر الذي جعل من إيران التهديد الوجودي الأول لإسرائيل³⁷.

وفيما يتعلق بالتهديدات غير العسكرية الخارجية فيدور جلها حول ظاهرة عزل إسرائيل، هذه الظاهرة التي بدأت تطفو على السطح في أعقاب حرب العام 1973، أما التهديدات الداخلية فقد دشنت نهاية الحرب بداية لمرحلة تآكل ثقة مواطني الدولة بقدرة الجيش على تحقيق إنتصار يحسم

³⁴ يتسحاق رابين وآخرون، أمن إسرائيل في الثمانينات: إسرائيل والدول العربية - دراسات في الإستراتيجية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، 1979، ص 15-57.

³⁵ Iffraim Inbar, **Israel National Security, 1973-96**, Annals Journal, The American Academy of Political and Social Science AAPSS, USA, Pennsylvania, Vol 555, issue 1, 1998, pp 62-81.

³⁶ يتسحاق رابين وآخرون، مصدر سابق.

³⁷ Lt. Gen. Aviv Kochvi, IDF Chief of the General Staff, Speech before the 14th Annual International Conference, Israel Institute for National Security Studies, Israel, Tel Aviv, 2021.

صناعة الوجود، الأمر الذي أثار تساؤلات جديدة حول محاور رئيسية في التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي، وفي السياق ذاته تسببت نتائج الحرب في خلخلة ثقة الجمهور بالقيادة السياسية التقليدية وفتحت الأبواب لبروز قيادات شابة، كما أنهت نتائج الحرب حقبة هيمنة وإحتكار حزب سياسي واحد للحكم ودشنت لبداية مرحلة منافسة شديدة على الحكم بين حزبين كبيرين في حينه (العمل والليكود)، وفي إشارة حذرة وغير مباشرة، لأخطر التهديدات الداخلية، إختتم عنبار (Inbar) دراسته بالقول "وعلى الرغم مما شهدته البيئة الإستراتيجية من تغيرات وتحولات، إلا أن إسرائيل لم تغير أي من العناصر الجوهرية التي تقوم عليها عقيدة الأمن القومي للدولة"³⁸.

رابعاً: التهديدات خلال الألفية الجديدة

يجادل البعض من الدارسين المتخصصين في قضايا الأمن القومي في إسرائيل أن التطبيق الصحيح لعقيدة الأمن القومي التي وضع مرتكزاتها الأساسية دافيد بن غوريون في خمسينات القرن الماضي قد حققت غاياتها، الأمر الذي يمكن الإستدلال عليه من خلال تسليم الدول العربية بوجود الدولة اليهودية في المنطقة كما تجلى في إتفاقات السلام مع كل من مصر والأردن، ولاحقاً التطبيع مع بعض الدول العربية³⁹.

وكان الجنرال أيلون شريك بن غوريون في تطوير عقيدة الأمن القومي أو ما يفضل الإشارة إليها بمعادلة الأمن القومي أكثر تحديداً في الحكم على نجاح عقيدة الأمن القومي من خلال إثبات هذا النجاح عملياً، عبر تطبيق منهجية حدد فيها الفترة الزمنية للحكم على مدى نجاح المعادلة، (وهي هنا 35 عام على تأسيس إسرائيل خاضت خلالها ستة حروب ضد أعدائها)، وكذلك تحديد الشروط التي حرصت إسرائيل على توفيرها لضمان النجاح حين كتب بأن "معادلة الأمن القومي الإسرائيلي خلال 35 سنة من عمرها قد أثبتت أنها من المعادلات الجيدة في العالم، ومع ذلك لا بد أن ندرك أن المعادلة لا تحافظ على قوتها وتوازنها وحرية عملها بقوتها الذاتية، بل على العكس إنها بحاجة لرعاية مستمرة لجميع مكوناتها (القدرة، والوسيلة، والغاية)، ولقيادة تعرف كيف تقود الشعب وتوحده، ولموارد لا تشح بل تنمو باطراد، ووسائل فعالة ومعتمدة، ولجاهزية كاملة، ولوسيلة حكيمة، ولتنفيذ متكامل، ولغاية متوازنة ومتكيفة، سواء مع المتغيرات في محور الإتجاه التاريخي، أو مع ضغط البيئة الإستراتيجية"⁴⁰.

ومقابل ذلك بدأ آخرون من الدارسين داخل إسرائيل وخارجها منذ بداية الألفية الجديدة يعيدون طرح مسألة الوجود على جدول النقاش العام في إسرائيل مستندين في ذلك إلى حقيقة مفادها أن

³⁸ Ifraim Inbar, Ibid.

³⁹ فادي نحاس، مصدر سابق.

⁴⁰ يجال ألون، مصدر سابق، ص 24.

التحولات في البيئة الإستراتيجية الإسرائيلية قد كشفت أن بعض الفرضيات في عقيدة الأمن الإسرائيلية لم تعد صالحة وتحتاج إلى إعادة نظر⁴¹.

في الواقع تتوافق مجادلةة (كوهين) المشار إليها في الفقرة السابقة مع إشارة إفرام عنبار الحذرة التي تناولها في دراسته عشية بداية الألفية الجديدة والتي نادى خلالها بضرورة تغيير أو تحديث عقيدة الأمن القومي الإسرائيلية، وكان من اللافت أن المطالبة بتغيير أو تحديث نظرية الأمن الإسرائيلية قد زادت مع بدء الألفية الثالثة، وذلك من قبل كل من كبار الجنرالات في الجيش الإسرائيلي، والباحثين الإسرائيليين المتخصصين في قضايا الأمن القومي⁴².

ففي إقرار منه بعدم مقدرة نظرية الأمن الإسرائيلية على مواجهة التهديدات الجديدة كتب رئيس أركان الجيش في حينه (شاؤول موفاز) "يدخل الجيش الإسرائيلي القرن الحادي والعشرين وهو عالق في المأزق الناتج عن سؤال: كيف يبني قوة قادرة على مواجهة تحديات أمنية جارية وأخرى مستقبلية متوقعة في آن واحد، وكيف يحافظ على جاهزته لكل ما يراه من تهديدات من حيث الإمكانيات والتشكيلات"⁴³؟

وفي السياق ذاته أدرك كل من (أهود براك) العام 2000، (أرييل شارون) العام 2005، إنطلاقاً من خبرتهم العسكرية كجنرالات متقاعدين من الجيش، أن مكانة إسرائيل الإستراتيجية في الألفية الجديدة ليست هي ذات المكانة التي تميزت بها في الألفية الثانية، وأنها أي إسرائيل ستكون أكثر إنكشافاً في المستقبل، ولذلك لن يكون بمقدورها مواجهة التهديدات المتوقع بروزها في الألفية الجديدة بتطبيق الإستراتيجية القديمة، الأمر الذي دفعهما كل على حدة لسحب الجيش الإسرائيلي من جاتب واحد من جنوب لبنان العام 2000، وقطاع غزة العام 2005⁴⁴.

وفي ذات الشأن لم يكتفي البعض من الباحثين الإسرائيليين بإبراز حاجة إسرائيل إلى تحديث نظريتها الأمنية وحسب، بل ذهبوا أبعد من ذلك وكشفوا عن عيوب جوهرية (ذاتية وموضوعية) تعيب نظرية الأمن القومي النافذة، الأمر الذي يقود إلى قراءات مشوشة للواقع وعدم دقة في تحديد التهديدات سواء التهديدات الآتية الجارية أم المتوقعة، وكنتيجة، تضعف من قدرة الدولة على رصد الموارد، وتطوير التدخلات المناسبة لمواجهة التهديدات، وفوق ذلك تسهل هذه العيوب على القيادة السياسية والعسكرية مواصلة إستراتيجية التحايل على الواقع بإنكار وجود هذه التهديدات⁴⁵.

⁴¹ Ram Cohen-Kidron, **Updating Israel's Security Strategy in an Era of Uncertainty**, United States Army War College, USA, Pennsylvania, 2013

⁴² لمزيد من الإطلاع أنظر عاموس يادلين في مقدمة تقارير التقييم الإستراتيجي السنوي الصادرة عن معهد إسرائيل لدراسات الأمن القومي، 2018، 2019، 2020، أنظر أيضاً دافيد رودمان، مصدر سبق ذكره، أنظر أيضاً رئيس أركان الجيش الأسبق أيزنكوت، مصدر سبق ذكره. أنظر أيضاً مداخلة رئيس الأركان ووزير الدفاع الأسبق موشيه يعالون في المؤتمر الدولي السنوي لمعهد دراسات الأمن القومي 2015.

⁴³ Shaul Mofaz, **The IDF Toward the Year 2000**, Strategic Assessment, Israel Institute for National Security Studies, Israel, Tel Aviv, 1999, Vol 2, No2, pp9-12.

⁴⁴ George Freidman, Ibid.

⁴⁵ Uri Bar Joseph, **Towards a Paradigm Shift in Israel's National Security Conception**, Israel Affairs, 2007, Routledge, England, London. V 6, Issue 3-4, p 99-114.

وقد إعتد هذا البعض في إبرازه لعيوب نظرية الأمن القومي الإسرائيلي على أحد جوانب المعنى الإجرائي المتعارف عليه في الأوساط الأكاديمية للأمن القومي المشار اليه سابقاً في هذه الدراسة، والذي يقول أن مفهوم الأمن القومي لأي دولة هو المنتج النهائي لإدراك النخبة السياسية والعسكرية في الدولة، أو ما يشار إليه بالوضع النفسي السيكولوجي للنخبة (Psychological milieu)، لواقع البيئة الداخلية والخارجية للدولة أو ما يشار اليه بالوضع العملياتي (Operational milieu)، الأمر الذي يعني أن مراجعة العقيدة الأمنية لأي دولة هي المنتج النهائي للتغيرات والتحويلات التي تطرأ على كل من الوضع العملياتي للدولة والوضع النفسي للقيادة السياسية والعسكرية⁴⁶.

وفي سياق متصل يضيف جوزيف أن الحركة الصهيونية في مشروعها الإستعماري لفلسطين قد ولدت بدون مفهوم للأمن القومي، ولذلك ضبطت سلوكها الأمني في فلسطين ما قبل العام 1948، وفقاً لمعنى البراداييم (Paradigm) أو النموذج الذي لا زال كثير من الدارسين في إسرائيل يفضلونه على معنى المفهوم (Concept)،⁴⁷.

ويضيف آخرون أنه فيما جرى كثير من التحويلات على الوضع العملياتي، إلا أنه لم يجري بالمقابل اي تغيير على الوضع النفسي للنخبة السياسية والعسكرية في الدولة، الأمر الذي أدى خلال العقدين الماضيين إلى إصابة مكوني البيئة الأمنية الإسرائيلية (النفسي والعملياتي) بكثير من الثقوب⁴⁸.

اللافت هنا أن إستجابة القيادة الرسمية الإسرائيلية لدعوات تطوير نظرية الأمن لم تكن بالمستوى المتوقع، إذ شكلت العام 2004 لجنة رسمية برئاسة دان مريدور لإعادة فحص التفكير الإستراتيجي وبلورة المفهوم الأمني، وقد خرج تقرير هذه اللجنة للعلن بعد سنتين من العمل وأوصى بإضافة ركيزة الدفاع الوطني للركائز الثلاث التي وضعها بن غوريون في خمسينات القرن الماضي⁴⁹.

ويؤكد ذلك أن ثقافة البيشوف التي وجهت بن غوريون في صياغته للنظرية الأمنية لا زالت هي الثقافة المحركة للتفكير الأمني للنخبة السياسية والعسكرية التي تقود إسرائيل الآن، الأمر دفع الجيوبولتيكي الأمريكي المشهور جورج فريدمان للقول العام 2005، والعام 2014، "أن إسرائيل قد دخلت مأزق لا

⁴⁶Uri Bar Joseph, Ibid.

⁴⁷ Uri Bar Joseph, Ibid.

⁴⁸ Uri Bar Joseph, Ibid.

⁴⁹ مفكرة المشهد، لجنة مريدور لإعادة فحص التفكير الإستراتيجي وبلورة المفهوم الأمني الإسرائيلي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام، رام الله، فلسطين، 2014، متوفر على الرابط التالي: <https://www.madarceneter.org>، تمت زيارته بتاريخ 2021/8/9. للمزيد أنظر أيضاً: يعقوب أميدور، عقيدة الأمن القومي الإسرائيلي، معهد القدس للإستراتيجية والأمن، القدس، إسرائيل، 2021، متوفر باللغتين الإنجليزية والعبرية على رابط المعهد: www.jiss.org.il، تمت زيارته بتاريخ 2021/8/9. أنظر أيضاً: dan Meridor and Ron Eldadi, Israel's National Security Doctrine, The Report of the Committee On the Formulation of the National Security Doctrine, INSS Institute for National Security Studies, Tel Aviv, Israel, Memorandum No. 187, 2010.

حل له⁵⁰، ودفع كذلك وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنري كيسنجر للقول "أن الدولة اليهودية ربما يكون لديها سياسة داخلية، ولكنها يقيناً لا تملك سياسة خارجية"⁵¹.

وفي تأكيد منهم على ما كشف عنه كل من كيسنجر وفريدمان في مساهماتهم المشار اليها في الفقرة السابقة ذكرت مجموعة كبيرة من الشخصيات السياسية والعسكرية والإستخبارية والأكاديمية من مختلف التخصصات العلمية عبر منتدى ضم أكثر من 200 شخصية نظمه معهد صاموئيل نعمان التابع لمعهد التخنيون في مدينة حيفا، إثناء مبادرتهم لتطوير إستراتيجية كبرى لإسرائيل، كان المعهد قد نشرها العام 2017، حيث كشفت الوثيقة المنشورة أن ضعف الجبهة الداخلية الإسرائيلية يُضعف من قدرة تأثير الدولة على ما يجري خارجها إقليمياً ودولياً، "فقوة السياسة الخارجية تبدأ من قوة السياسة الداخلية"⁵².

وكشفت مسودة الإستراتيجية الكبرى التي خلص اليها المنتدى المشار اليه أنه مع بداية الألفية الجديدة بدأت تتكشف نقاط الضعف الإستراتيجية التي تعاني منها إسرائيل، وقد لخصها التقرير في نقطتين تتعلقان بالجبهة الداخلية وليس الخارجية، الأولى تتعلق بالموارد البشرية، والثانية بفاعلية مؤسسات الحكم، حيث ذكر التقرير أنه لا يمكن لإسرائيل إستثمار قوتها العسكرية والإقتصادية دون إستدامة هذه القوة، ولا يمكن إستدامة هذه القوة دون معالجة نقاط الضعف في مجالي تنمية الموارد البشرية من خلال إصلاح نظام التعليم، ومجال الحكم من خلال إصلاح مؤسسات الحكم⁵³.

المهم هنا أن التقرير قد ذكر بوضوح أن المجتمع الإسرائيلي مُبتلى بداء الإنقسام، سواء الإنقسام ما بين مواطني الدولة من العرب واليهود، أو ما بين العلمانيين والمتدينين اليهود، الأمر الذي يجعل من المستحيل نجاح أي إستراتيجية كبرى للدولة، لا سيما وأن أهم شرط لنجاح هكذا إستراتيجية هو توفر إجماع وإنسجام قومي قوي على ما تتضمنه⁵⁴.

وحول مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي فقد أفرد التقرير مساحة واسعة منه لشرح وتوضيح موجبات حاجة إسرائيل لتطوير وتحديث مفهوم الأمن، وذلك إستناداً لجملة التحولات والتغيرات التي طرأت على شكل الصراع وبروز تحديات وتهديدات جديدة مختلفة في طبيعتها ومصادرها عن تلك التهديدات والتحديات التقليدية التي أنتجت الركائز الأساسية التي قام عليها مفهوم الأمن الإسرائيلي. وفي هذا الشأن اشار التقرير إلى ضعف وإهيار مبنى الدولة في المنطقة، وصعود مكانة ودور المنظمات من غير الدولة في العلاقات الدولية والإقليمية كبديل عن الدولة، ونجاح هذه المنظمات في بناء قوة عسكرية متطورة، وكذلك نجاح هذه المنظمات في تطوير قوة تكنولوجية تنطوي على تهديدات في مجال

⁵⁰ George Freidman, Ibid.

⁵¹ David Rodman, Book review: Israel Statecraft: National Security Challenges and Responses, Israel Affairs, Routledge, England, London, 2012, Vol,18, Issue 4, pp 667-668.

See also George Freidman, Ibid.

⁵² Grand Strategy Forum, Grand Strategy for Israel: Reflections and Directions, The Samuel Institute of National Policy research, Technion City, Israel, Haifa, pp 6-8, 2017.

⁵³ Grand Strategy Forum, Ibid.

⁵⁴ Grand Strategy Forum, Ibid.

الساير، ثم بروز إيران كقوة تصر على التحول لدولة نووية، الأمر الذي اضعف من الركائز الأساسية التي يقوم عليها مفهوم الأمن التقليدي في إسرائيل خاصة ركيزة الردع والتفوق النوعي والدفاع الوطني⁵⁵.

وقد جاءت حرب لبنان الثانية العام 2006، وفقاً لتقرير لجنة فينوغراند التي كُلفت بالتحقيق في نتائج الحرب، مؤكدة على ما خلصت إليه مساهمات الباحثين المشار إليها في مرحلة ما بعد قيام الدولة، لا سيما من حيث طبيعة ومصدر التهديدات والحاجة لتحديث النظرية الأمنية، ومن جهة أخرى كاشفة لخطأ اعتقاد ساد طوال فترة ما قبل إندلاع الحرب في الأوساط الأمنية والأكاديمية بأن المواجهة مع عناصر غير دولانية لا تؤدي إلى حروب، ولا تنتج أزمة وجود⁵⁶.

وبعد مرور عقد تقريباً على صدور تقرير لجنة فينوغراند كشف تقرير مراقب عام الدولة العام 2017، الذي خصصت مساحة واسعة منه لتقييم حرب العام 2014 على غزة، أن المستوى السياسي في إسرائيل لم يحدث التغييرات المطلوبة التي نص عليها تقرير فينوغراند، لا سيما تلك التي تتعلق بآليات إتخاذ قرار العمليات وعلاقة المستوى السياسي بالقيادة العسكرية الميدانية في وقت الحرب⁵⁷.

وكان من اللافت أن الساحة البحثية الإسرائيلية قد شهدت في أعقاب الحرب على لبنان وصدور تقرير لجنة فينوغراند كثافة من المساهمات البحثية التي تعكس من جهة، حجم القلق في أوساط الباحثين والدارسين المتخصصين في قضايا الأمن القومي الإسرائيلي، وتشرح من جهة أخرى التهديدات الماثلة أمام إسرائيل في الألفية الجديدة، وتقدم من جهة ثالثة توصيات حول إستراتيجية الأمن القومي التي يمكنها مواجهة هذه التهديدات.

وكان من أبرز هذه المساهمات، مساهمة المحلل الإستراتيجي يحزكل درور (Yehezkel Dror) الموسومة بعنوان: فن الحكم في إسرائيل: تحديات الأمن القومي والردود عليها Israeli Statecraft: National

⁵⁵ Grand Strategy Forum, Ibid, pp 122-135.

See also: Udi Dekel and others, **Israel's Current Strategic Challenges**, Strategic Survey 2013-2014, Institute for National Security Studies INSS, Tel Aviv, Israel, 2014, pp 123-137.

⁵⁶ لمزيد من الإطلاع أنظر: تقرير لجنة فينوغراند النهائي باللغة العربية حول تقصي حقائق الحرب اللبنانية الثانية المقدم لرئيس الوزراء في حينه إيهود أولمرت في نهاية شهر يناير/كانون ثاني 2008، والمنشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية الذي تمت زيارته بتاريخ 2021/9/15.

<https://mfa.gov.il/MFAAR/TheGovernment/AnnouncementsAndStatements/2008/Pages/vinograd%20report%20final%2030012008.aspx>

⁵⁷ لمزيد من الإطلاع أنظر النص الحرفي باللغة العربية لملخص تقرير مراقب عام الدولة حول حرب العام 2014 على غزة، الصادر عن ديوان مراقب عام الدولة العام 2017، والمتوفر على موقع وكالة الأنباء التركية (الأناضول) الذي جرت زيارته بتاريخ 2021/9/15.

<https://www.aa.com.tr/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9/-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%81%D9%8A-%D9%84%D9%85%D9%84%D8%AE%D8%B5-%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%82%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%B9%D8%A7%D9%85-2014/761701>

Security Challenges and Responses، حيث وصف درور وحل في كتابه هذا الأمن القومي الإسرائيلي بشكل نقدي، مؤكداً أنه لكي تحافظ إسرائيل على أمنها القومي عليها الإستعداد جيداً للإتجاهات الكبرى التي ستبرز في القرن الجاري، كصعود الإتجاه الإسلامي، وإنتشار أسلحة الدمار الشامل، وزيادة تأثير المنظمات غير الدولانية في العلاقات الدولية، ويرى درور أن الوقت لا يعمل لمصلحة إسرائيل في مواجهة هذه التحديات لأسباب تعود لخلل في الحكم، وفي الختام يستنتج درور أنه إذا أرادت إسرائيل حماية أمنها القومي عليها تقديم تنازلات كبرى ليس للفلسطينيين وحسب، بل للعرب في المنطقة⁵⁸.

المساهمة الثانية كانت للباحث تشارلز فرايليك (Charles Freilich) الموسومة بعنوان الأمن القومي الإسرائيلي: إستراتيجية جديدة في مرحلة تغير Israel National Security: a new Strategy for an (Era of Change)⁵⁹.

وتكمن أهمية الدراسة الثانية التي هيمنت ولا زالت على الوسطين الأمني والأكاديمي داخل إسرائيل وخارجها، حيث تشكل مرجع للدارسين والباحثين في مجال الأمن القومي الإسرائيلي، من جهة لأهمية الباحث، إذ أنه يحمل درجة علمية عالية ويعتبر من الأسماء المشهورة في الوسط الأكاديمي الغربي، لا سيما الأمريكي والإنجليزي، ويعتبر من أهم المحاضرين في العلاقات الدولية والعلوم الإستراتيجية في جامعة هارفارد الأمريكية، كما له كتب وأوراق علمية منشورة في أهم المجالات الدولية، وكان قد شغل منصب محلل إستراتيجي في وزارة الدفاع الإسرائيلية 1993-2000، ونائب رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي 2000-2005⁶⁰.

ومن جهة أخرى للحقائق التي كشفها في مساهمته هذه، حيث قسم كتابه لمقدمة وخاتمة وأربعة فصول، إذ خصص القسم الأول لشرح نظرية الأمن الإسرائيلية أو ما أطلق عليها (عقيدة الدفاع الكلاسيكية) التي قامت على الركائز الثلاث التي طورها بن غوريون في خمسينات القرن الماضي، والتي كانت وفقاً لمجادلة فرايليك نتاجاً للبيئة الإستراتيجية الإسرائيلية وما انطوت عليه من تهديدات للدولة، وأضاف الباحث في هذا الفصل أن هذه العقيدة قد نجحت في تحقيق ما أرادته صناعات مشروع إسرائيل، حيث كان من جملة ما أرادوا حينها زرع حقيقة في الوعي العربي، مفادها أن إسرائيل قد قامت في المنطقة لتبقى⁶¹.

وتخصص الفصل الثاني من الدراسة لشرح التحولات التي طرأت على البيئة الإستراتيجية الإسرائيلية منذ نهاية سبعينات القرن الماضي وتركت أثارها على الأمن القومي الإسرائيلي، هذه الأثار التي جعلت

⁵⁸ Yehezkel Dror, **Israel statecraft: National Security Challenges and Responses**, Routledge, England, London, 2011.

⁵⁹ Charles D. Freilich, **Israeli National Security: A New Strategy for an Era of Change**, Oxford University Press, USA, NY, 2018.

⁶⁰ Charles D. Freilich, Curriculum, Harvard University, Kennedy School of Government, USA, Cambridge, Chuck.Freilich@Harvard.edu.

⁶¹ Charles D. Freilich, *Ibid*, PP 14-29.

من عقيدة الدفاع الكلاسيكية التي وضعها بن غوريون غير ذي صلة، وكان الكاتب قد قسم هذه الآثار إلى نوعين. النوع الأول أثار مفيدة لأمن إسرائيل القومي، مثل توقيع إتفاقيات السلام مع مصر والأردن، وإنهيار الإتحاد السوفيتي، وتفكك العراق وبداية ضعف سوريا، الأمر الذي ساهم في إضعاف درجة التهديد الوجودي لإسرائيل. والنوع الثاني ضار لأمن إسرائيل، ويتمثل في بدايات ضعف النظام العربي الرسمي، وصعود تأثير منظمات من خارج نظام الدولة كحزب الله وحركة حماس وما ينطوي عليه ذلك من تهديدات جديدة ومختلفة، حيث وصلت هذه التهديدات ذروتها مع بروز إيران وبرنامجه النووي والصاروخي. والأهم في هذا الشأن أن الفصل الثاني قد تطرق لاتجاهات تهديدية بدأت تبرز في داخل الدولة اليهودية ومن المتوقع أن تستمر في المستقبل القريب والبعيد، لا سيما في المجال الديموغرافي والاجتماعي والديني، وكذلك في اتجاهات نزع الشرعية دولياً⁶².

أما الفصل الثالث فقد خصصه "تشارلز" في إستحضار مزيد من الإثباتات على صحة إستنتاجه بأن عقيدة الدفاع الكلاسيكية المطبقة في إسرائيل لم تعد ذي صلة على ضوء ما حملته التحولات في البيئة الإستراتيجية الإسرائيلية من تهديدات، وأضاف أنه على الرغم من إدراك القيادة السياسية والعسكرية والمدنية في إسرائيل لهذه الحقيقة، إلا أن الجيش كان الجهة الوحيدة التي شهدت محاولات متعددة للتكيف مع ما حملته هذه التحولات من تهديدات.

وكان لافتاً في هذا الفصل أن الباحث قد تجاوز الشروط الرقابية الصارمة التي تفرضها إسرائيل على قدراتها النووية في إشارته أن خطاب الغموض الذي وظفته إسرائيل بخصوص قدراتها النووية، علاوة على علاقاتها الإستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية، وديبلوماسية بيع الأسلحة العلنية والسرية، كانت لهما المساهمة الأكبر في تعزيز قدرتها الردعية مقابل التهديدات الوجودية التي حملتها التحولات في البيئة الإستراتيجية⁶³.

وحول الجهة الداخلية فقد أوصى تشارلز في مساهمته على ضرورة تعزيز الترابط الاجتماعي في المجتمع، لا سيما في أوساط المتدينين (الحرديم) اليهود، وكذلك ما بين المواطنين اليهود والمواطنين العرب وذلك لجهة تعزيز مناعة المجتمع على المدى البعيد، علاوة على إفراده مساحة واسعة من التوصيات للدعوة إلى لتطوير مؤسسات الحكم في الدولة⁶⁴.

وفيما يخص الجيش الذي أوكلت له مهمة حماية صناعة الوجود، فيرى البعض في إسرائيل أن الجيش لم يعد قادراً على تنفيذ هذه المهمة بنجاح، معللين ذلك إلى أن الإنهماك في حرب مستديمة ضد سكان البلاد الأصليين، تختلف إستراتيجياً عن الحرب على الحدود، حيث لا يصلح إستخدام

⁶² Charles D. Freilich, Ibid, pp 33-161.

⁶³ Charles D. Freilich, Ibid, pp 165-320.

⁶⁴ Charles D. Freilich, Ibid, pp 325-384.

الجيش الذي إنهمك في حرب طويلة ومزمنة مع السكان الأصليين للتوصل إلى حسم عسكري في الحرب على الحدود⁶⁵.

وربما هذا ما يفسر الدعوات المتواترة لتطوير الجيش، خاصة تطوير منظومة المفاهيم التي يقوم عليها، لا سيما في الفترة التي أعقبت مبادرة حركة حماس الأخيرة للحرب، التي أطلقت عليها اسم معركة سيف القدس، وأطلقت عليها إسرائيل معركة حماة الأسوار، هذه المبادرة التي ضاعفت من شكوك مواطني الدولة على قدرة الجيش على تحقيق الانتصارات خاصة وأن مبادرة حماس للحرب قد جرحت عميقاً الركائز التي تقوم عليها عقيدة الأمن القومي (الردع، والإنذار المبكر، والحسم، والدفاع الوطني)، الأمر الذي دفع البعض من جنرالات الجيش المتخصصين في دراسات الأمن القومي للدعوة العلنية لضرورة تطوير وتحديث المفاهيم التي يقوم عليها الجيش، خاصة مفهوم النصر⁶⁶.

وقبل ذلك كان هذه الوضع قد دفع قيادة الجيش، لا سيما قيادة أركان الجيش إلى المبادرة لإعداد خطط تطويرية للجيش لزيادة قدراته على مواجهة التهديدات التي تنطوي عليها البيئة الإقليمية، الأمر الذي تجلّى أيما تجلّي في خطط تطوير الجيش المتتالية منذ العام 2012، كالخطة الخمسية "تيفن 2012" التي أقرها رئيس الأركان الأسبق جابي أشكنازي، و"الوثيقة العسكرية 2018" المعروفة بخطة جدعون، التي أعدها رئيس الأركان السابق جادي أيزونكوت، و"خطة تنوفاه 2020" أو الرافعة لرئيس الأركان الحالي أفييف كوخافي⁶⁷.

تجدر الإشارة هنا أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ممثلة بوزارة الدفاع قد شرعت منذ العام 1998 بمحاولة تطوير نظرية الأمن الإسرائيلية، حيث شكل وزير الدفاع العام 1998 إيتساق مردخاي فريق عمل برئاسة دافيد عبري الذي يعتبر مستشار الأمن القومي الأول في إسرائيل، حيث كان قد قسم الفريق إلى خمس لجان متفرقة، الأول متخصص في تطوير مبدأ وآليات الردع، والثاني متخصص في آليات تحقيق النصر الحاسم، والثالث متخصص في تطوير آليات الإنذار المبكر، والرابع متخصص في بحث العلاقات العسكرية المدنية، أما الخامس فكان متخصص في تطوير السياسة العسكرية، وكان من الملاحظ أن هذا الفريق قد فشل في تحقيق مهمته نتيجة لخلافات بين اللجان المختلفة⁶⁸.

⁶⁵ أنظر عوض منصور، مصدر سابق، ص 584،

Aluf Benn, A Very: Very Painful Response, Haaretz 4/5/2007, Uzi Benziman, Planning the Previous War, Haaretz, 9/5/2007.

⁶⁶ Gabi Siboni and Yuval Bazak, **The IDF Victory Doctrine: The Need for Updated Doctrine**, The Jerusalem Institute for Strategy and Security, Israel, Jerusalem, 2021.

⁶⁷ فادي نحاس، مصدر سابق، ص 672.

Gabi Siboni, and Others, **The Development of Security-Military Thinking in the IDF**, Israel Institute for National Security Studies, Tel Aviv, Israel, Strategic Assessment, Vol 1, No 1, 2018, pp 7-19.

⁶⁸ J Jacob Nagel, and Jonathan Schanzer, From Ben-Gurion to Netanyahu: The Evolution of Israel's National Security Strategy, The Foundation for Defense of Democracies (FDD), USA, Washington, 2019, pp 3.

وفي العام 2004 شكل وزير الدفاع في حينه شاؤول موفاز لجنة لنفس الغرض برئاسة دان ميردور، الذي بدوره لم يقسم الفريق للجان مختلفة كما فعل عبري، وكان هذا الفريق قد أنهى عمله العام 2007، حيث أوصى بجملة من التوصيات كان من أهمها إضافة ركيزة الدفاع الوطني للركائز الثلاث التي طورها بن غوريون في بداية خمسينات القرن الماضي.⁶⁹

وفي العام 2015 قدم رئيس شعبة الدفاع والأمن في مجلس الأمن القومي الإسرائيلي العقيد (جور لايش)، مقترحاً بتطوير مفهوم الأمن القومي، إذ ركز في هذا المقترح على التفرقة في آليات العمل بين الروتين وحالات الطوارئ، إلا أن الفشل كان من نصيب هذا المقترح كذلك.⁷⁰

وفي العام 2019 كشف رئيس الوزراء في حينه بنيامين نتنياهو عن ما بات يعرف في أوساط خبراء الأمن الإسرائيلي بوثيقة نتنياهو للأمن القومي، وكان نتنياهو قد إختار هذا التوقيت للكشف عن وثيقته لغايات شخصية، إذ يجادل البعض أن نتنياهو قد أراد في كشفه عن بعض من وثيقته أن يشترك مع بن غوريون في كونهما رؤساء الوزراء الذين إقترن إسمهما بوثيقة مكتوبة للأمن القومي للدولة، إلا أنه أي نتنياهو يتقدم عن بن غوريون في كونه رئيس الوزراء الأطوال إحتفاظاً بالمنصب.⁷¹

وتظهر قراءة ما تضمنته وثيقة نتنياهو للأمن القومي أنه قد جمع في مقارنته للأمن القومي بين المنظار الواقعي في تفسير المسألة الأمنية، خاصة في إعتبار الدولة هي مرجعية التحليل، والإحتفاظ بالقوة العسكرية كأساس لقيام الدولة بواجباتها في حفظ الأمن، المنظار الذي كان بن غوريون قد وظفه في تطوير مفهومه للأمن القومي، وبين المنظار الذي قدمته مدرسة كوينهاجن التي استمدت أصولها النظرية في العلاقات الدولية من مساهمات المنظر البريطاني باري بوزان الذي طور نموذج الأبعاد والمستويات في تحليل المسألة الأمنية.⁷²

فالمستويات طبقاً لنموذج بوزان لا تكنفي بالدولة كمرجعية وحيدة لتحليل المسألة الأمنية، إذ على الرغم من أنها المستوى الأهم في التحليل، إلا أنه يجب أن يضاف إليها مستويين آخرين عند التحليل هما الفرد، والنظام الدولي، وأضاف بوزان كذلك أن تحليل المسألة الأمنية لا يعطي صورة كاملة للتحليل إذا ما جرى هذا التحليل ضمن ما أسماه بوزان بالقطاعات أو الأبعاد، كالبعد الإقتصادي، والبعد السياسي، والبعد العسكري، والبعد الإجتماعي، والبعد البيئي.⁷³

ويتجلى هذا الجمع في مقارنة نتنياهو للأمن القومي في الركائز الأربعة التي بنى عليها مفهومه، حيث تقوم الركيزة الأولى على القوة العسكرية التي تستمد من الردع، والإنذار المبكر، والدفاع الوطني، والقدرات الهجومية، أما الركيزة الثانية فتقوم على القوة الإقتصادية التي تستمد من تعزيز وتقوية

⁶⁹ Jacob Nagel, and Jonathan Schanzer, Ibid, pp 1-2.

⁷⁰ Jacob Nagel, and Jonathan Schanzer, Ibid, pp 3-4.

⁷¹ Jacob Nagel, and Jonathan Schanzer, Ibid, pp 4-5.

⁷² توفيق بوستي، مدرسة كوينهاجن: نحو توسيع وتعميق مفهوم الأمن، المعهد المصري للدراسات، مصر، القاهرة، 2019، ص 23-1.

⁷³ محمود بوستي، مصدر سابق.

القطاع الخاص، وإزالة العوائق أما التجارة، وتقوية روابط إسرائيل بالإقتصاد العالمي، وتقوم الركيزة الثالثة على القوة السياسية التي تستمد من تحالفات إقليمية ودولية قوية، احتفاظ الدولة بقوة الردع، وحرية عمل الجيش في الإقليم، وتقليص مستوى وأشكال معاداة إسرائيل في المنظمات الدولية، أما الركيزة الرابعة فتقوم على القوة الإجتماعية التي تستمد تطوير الموارد البشرية من خلال تعزيز التعليم، وتعزيز المناعة القومية داخل المجتمع⁷⁴.

وفي معرض شرحه لوثيقته التي لم تعتمد رسمياً كوثيقة بن غوريون، ذكر نتنياهو أن إسرائيل تواجه تهديدات من دول في المنطقة وكذلك من لاعبين من خارج نظام الدولة، إلى جانب أنها تواجه تهديدات من منظمات ومجموعات إرهابية، ويقف على رأس هذه القائمة من التهديدات الأعداء الذين يسعون لإمتلاك أسلحة نووية، وأضاف نتنياهو أن إسرائيل تواجه كذلك تهديدات من تعاضم القوة الصاروخية لدى أعداء إسرائيل، لا سيما الصواريخ الدقيقة، وكذلك تواجه تحديات تكنولوجية من خلال تطور قدرات السايبر لدى الأطراف المعادية لإسرائيل، علاوة على أنها تواجه تهديدات من سلاح الأنفاق وتآكل تماسك ومناعة الجبهة الداخلية ومحاولات نزع الشرعية وإتهامات محكمة الجنابات الدولية، وكان لافتاً في وثيقة نتنياهو عدم اللجوء للحرب مباشرة في مواجهة التهديدات وتفضيله إستراتيجية معركة بين حربيين⁷⁵.

خيارات إسرائيل للخروج من المأزق

يجادل خبير الجيوبولتيك اليهودي الأمريكي المشهور جورج فريدمان أن إسرائيل منذ الإعلان عن قيامها العام 1948 حتى بداية الألفية الجديدة واجهت ثلاثة خيارات، الخيار الأول هو التأمل في الأفضل، وهذا كان وضع إسرائيل في حرب العام 1967، والخيار الثاني هو الإنتقال من الردع التقليدي للردع النووي، وفي هذا الشأن يقول فريدمان أن إسرائيل هي دولة نووية، ولكن قيمة هذا السلاح تكمن في الردع فقط وليس بالهجوم، أما الخيار الثالث فيدور حول: 1- قيام إسرائيل بكل ما يلزم للحفاظ على بقاء التوتر في العالم العربي. 2- العمل على تقليص دوافع التحولات الثقافية في العالم العربي. 3- الحرص على عدم إندلاع إنتفاضة فلسطينية كبيرة في وقت خوض الجيش حرب على الحدود. 4- خفض احتمالات خروج إسرائيل من دائرة المصالح الأمريكية⁷⁶.

الفلسطينيون ومأزق إسرائيل

من جهتهم الفلسطينيون لم يخفى عليهم مأزق إسرائيل الأمني، إذ يجادل البعض من الدارسين الفلسطينيين، أنه مع بداية الألفية الجديدة برز قيادان جديان على مجموعة القيود الثابتة التي تتكون منها عقيدة الأمن القومي الإسرائيلي، يدور القيد الأول حول تهديد الوجود، والثاني يتعلق

⁷⁴ Jacob Nagel, and Jonathan Schanzer, Ibid, pp 4-5.

⁷⁵ Jacob Nagel, and Jonathan Schanzer, Ibid, pp 4-5.

⁷⁶ George Freidman, Ibid.

بعقيدة الأمن القومي ذاتها⁷⁷، الأمر الذي يعني أن غياب عقيدة أمن قومي إسرائيلية متماسكة ومترابطة منطقياً وتخضع لمراجعة دورية وفق أحكام دستورية، يؤدي إلى ولادة ما يطلق عليه بالأمن القومي الغامض، الذي بدوره ينتج إستقرارات بدل القراءات للبيئة الإستراتيجية، كما يؤدي إلى إرباك في المفاهيم⁷⁸.

ويجادل آخرون من الباحثين الفلسطينيين أن إسرائيل "تعيش في يومنا الحاضر مفارقة صارخة؛ فهي من جهة مزدهرة وقوية، وتنعم بدعم لا يضاهي من قوة عظمى هي لها سند وحليف، كما تتمتع بعلاقات مستقرة إن لم نقل ممتازة مع أغلب مراكز النفوذ في العالم، لكنها من جهة أخرى تواجه تحديات إستراتيجية إقليمية غير مسبوقة، في مقابل تغيرات إجتماعية-إقتصادية معتبرة على الصعيد الداخلي، وتهديداً متنامياً لصورتهما وسرديتهما على الصعيد الخارجي"⁷⁹.

الخاتمة

قامت نظرية الأمن الإسرائيلية على إفتراض أساسي بأن مصدر التهديدات الوجودية التي تهدد وجود الدولة هو خارجي، ويأتي من الجيوش النظامية للدول المجاورة التي أعلنت أنها في حالة عداء مع الدولة الجديدة التي نشأت في المنطقة.

ومن أجل مواجهة هذه التهديدات والحفاظ على الوجود، وإجبار الدول المعادية على التسليم بوجود الدولة كأمر واقع، كان لزاماً على إسرائيل أن تراكم وتوظف قوة عسكرية تقليدية وغير تقليدية نوعية، وحرمان الآخرين من إمتلاك قوة مماثلة لا سيما من حيث النوع، الأمر الذي تجلّى بوضوح في الركائز الأساسية الثلاث التي وضعها رئيس الوزراء الأول للدولة بن غوريون في خمسينات القرن الماضي، والتي لا زالت حاضرة وفاعلة حتى يومنا هذا،

اللافت هنا أنه عندما أضافت إسرائيل رسمياً ركيزة الدفاع كركيزة رابعة للركائز الثلاث السابقة على أثر حرب لبنان الثانية العام 2006 مع حزب الله اللبناني، لم تخرج هذه الركيزة على الإفتراض الأساس الذي حرك بن غوريون عند صياغته لنظرية الأمن الإسرائيلية، بل جاءت متوافقة معه بأن مصدر التهديد هو خارجي وذو طبيعة عسكرية خالصة.

وعلى الرغم من التحولات الجذرية التي جرت في البيئة الإستراتيجية الإسرائيلية خلال العقود الماضية، وما تضمنته هذه التحولات من تهديدات وتحديات للأمن القومي الإسرائيلي خاصة تلك التهديدات والتحديات التي مصدرها داخلي وذات طبيعة غير عسكرية، إلا أن الحكومات المتعاقبة في

⁷⁷Emily O. Goldman, **New Threats, New Identities and New ways of Wars: The Source of Change in National Security Doctrine**, Journal of Strategic Studies, Routledge, England, London, 2008, pp 43-76.

⁷⁸ Stuart A. Cohen, **An Exchange on Israel's Security Doctrine**, Middle East Review of International Affairs (MERIA), Israel, Herzliya, Vol 5, No 3, 2001, pp127-134.

⁷⁹ أحمد سامح الخالدي، إسرائيل: التحديات والمآزق والمعضلات، مجلة الدراسات الفلسطينية، مركز الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 2020، ص 79-91.

إسرائيل لم تتبنى أو تصدر أي وثيقة رسمية خاصة بنظرية الأمن القومي، حيث ظلت وثيقة بن غوريون هي الوثيقة الرسمية الوحيدة التي تشكل مرجعا للدارسين في قضايا الأمن القومي الإسرائيلي، والأهم من ذلك أن كل المحاولات لتطوير نظرية الأمن لم ترى النور كما وضحته هذه الدراسة.

ينبغي التأكيد هنا أنه من السذاجة الافتراض أن مؤسسات التقدير الإستراتيجي في الدولة غافلة عن التهديدات والتحديات للأمن القومي التي مصدرها داخلي وذات طبيعة غير عسكرية والمتضمنه في الإنقسامات الإجتماعية العميقة الدينية والإثنية التي يعاني منها المجتمع، وفي سوء توزيع الثروة، وفي ظاهرة إستنكاف نسبة عالية من الشباب في التجند لوححدات قتالية في الجيش، وفي نمو عدد المتدينين اليهود الذين لا يخدمون في الجيش ولا يشاركون في سوق العمل، وفي إنخفاض مستوى التعليم في أوساط المتدينين خاصة في أوساط النساء، وفي تنامي شعور الإفتنان بالقوة على حساب قيم الديمقراطية، وفي تزايد قناعة اليهود سواء داخل إسرائيل، أم خارجها بأن دولتهم هي دولة فصل وتمييز عنصري وليست دولة ديمقراطية كما تدعي، وفي فساد أجهزة الحكم، تلك التهديدات والتحديات التي لا يمكن معالجتها بالمال والسلاح والتكنولوجيا.

من جهتها تجادل هذه الورقة أنه علاوة على بدء تهاوي الركائز الأربعة التي تقوم عليها نظرية الأمن الإسرائيلية الظاهر للعيان منذ بداية الألفية الجديدة، بدأت تطفو على السطح جملة التهديدات والتحديات الداخلية ذات الطبيعة غير العسكرية التي لم تتطرق اليها الركائز الأساسية لنظرية الأمن من قريب أو بعيد، الأمر الذي يعطب معادلة الأمن القومي التي تقوم أحد مكوناتها على المناعة القومية.

وتأسيساً على ما تقدم ترى هذه الورقة كذلك أن محاولات الدعوة لتطوير وتعديل نظرية بن غوريون لن تتوقف، إلا أن مصير هذه المحاولات لن يختلف عن مصير المحاولات السابقة، إذ تفضل إسرائيل مواصلة نهج التحايل على الواقع من خلال مواصلة تبني الغموض في كل ما يتعلق بالأمن القومي الإسرائيلي، الأمر الذي يعني أن إسرائيل قد دخلت مأزق غير قابل للحل.